

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

...وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدَّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ وَمُتَسَرِّعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ...

عَزَّةُ: اِمْتِحَانُ الْبَشَرِيَّةِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرَامُ!

لَقَدْ مَرَّتْ ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ عَلَى الْإِبَادَةِ الْجَمَاعِيَّةِ الَّتِي بَدَأَهَا الظَّالِمُونَ صِدِّ إِخْوَانَنَا فِي عَزَّةَ. وَفِي الْمِنْطَقَةِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى أَنْقَاضٍ، لَا تَرَالُ الْمَسَاجِدُ وَالْبُيُوتُ وَالْمَدَارِسُ وَالْمُسْتَشْفَيَاتُ تُقْصَفُ حَتَّى الْيَوْمِ. وَيَتِمُّ الْاِسْتِيلَاءُ عَلَى بُيُوتِ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ، وَتُنْهَبُ أَرَاضِيهِمْ وَبَسَاتِينُهُمْ، وَتُحْرَقُ أَمَاكِنُ عَمَلِهِمْ وَتُهْدَمُ؛ وَتُنْتَهَكُ مُقَدَّسَاتُ الْمُسْلِمِينَ، وَيُقْتَلُ بِوَحْشِيَّةٍ أَمَامَ أَعْيُنِ الْعَالَمِ أَجْمَعِ، الْأَطْفَالُ وَالشُّبُوحُ وَالنِّسَاءُ وَذَوُو الْإِعَاقَةِ، بَلْ مُجْتَمَعٌ بِأَسْرِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّ الْأَلَامَ الَّتِي تَشْهَدُهَا عَزَّةُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ كَارِثَةٍ تَعْرِضُ لَهَا إِخْوَانُنَا الْفِلَسْطِينِيُّونَ فَحَسْبُ، بَلْ هِيَ اِمْتِحَانٌ تَارِيخِيٌّ يُمْتَحَنُ فِيهِ صَمِيرُ كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَأَخْلَاقُهُ وَكَرَامَتُهُ. عَلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الصَّرَخَاتِ الَّتِي تَرْتَفِعُ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ تَكْوِي قَلْبَ كُلِّ إِنْسَانٍ جَعَلَ الْعَدْلَ وَالْإِنصَافَ وَالرَّحْمَةَ شِعَارًا لَهُ. وَإِنَّ ارْتِفَاعَ الْأَصْوَاتِ وَازْدِيَادَ رُودِ الْأَفْعَالِ فِي شَتَّى أَنْحَاءِ الْعَالَمِ مِنْ أَجْلِ وَقْفِ الْمَجَازِرِ، وَحِمَايَةِ الْمَدْنِيِّينَ، وَإِصْالِ الْمُسَاعَدَاتِ، يُدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّمَاتِ لَمْ تَتَبَدَّلْ، وَأَنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ لَمْ تَمُتْ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرَامُ!

لَقَدْ وَقَعَ جَمِيعُ الظَّالِمِينَ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ فِي الْوَهْمِ تَفْسِيهِ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا يُفْهَرُونَ. وَلَكِنْ كَانَ هُنَاكَ دَائِمًا مَنْ يَصْرُخُ فِي وُجُوهِهِمْ بِأَنَّ الْحَقَّ سَيَنْتَصِرُ. وَكَمَا قَالَ طِفْلٌ مِنْ أَطْفَالِ عَزَّةَ: "إِنْ هَدَمْتُمْ بَيْتَنَا فَسَنَبْنِي بَيْتًا

جَدِيدًا، وَإِنْ هَدَمْتُمْ مَدْرَسَتَنَا فَسَنَبْنِي مَدْرَسَةً جَدِيدَةً. فَتَحُنْ لَنْ تَرْحَلَ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ". نَعَمْ، لَقَدْ شَهِدَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ دَائِمًا أَنَّ الظُّلْمَ لَا يَدُومُ أَبَدًا، وَأَنَّهُ يَنْتَهِي يَوْمًا مَا لَا مَحَالَةَ. فَمَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّةُ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّ حُكْمَ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَاطِعٌ: "كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ".¹

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَقَاضِلُ!

إِنَّ عَزَّةَ عُنْوَانُ مُقَاوَمَةٍ تَارِيخِيَّةٍ تَرْفَعُ لَوَاءَ عِزَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ. فَبَيْنَمَا يُبْتَلَى إِخْوَانُنَا هُنَاكَ بِأَلَمٍ فَقَدِ ابْتَنَائِهِمْ، وَبِالْخَوْفِ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ، وَبِالْحُرْنِ عَلَى تَذْمِيرِ دِيَارِهِمْ وَتَسْوِيَّتِهَا بِالْأَرْضِ، فَإِنَّا نَحْنُ أَيْضًا نُبْتَلَى بِمَوْقِفِنَا وَمَدَى وَغَيْنَا وَاهْتِمَامِنَا بِهَذَا الْأَمْرِ. فَإِنْ كَانَ اِمْتِحَانُ إِخْوَانِنَا فِي عَزَّةَ هُوَ الصَّبْرُ، فَاِمْتِحَانُنَا هُوَ أَلَّا نَنْسَاهُمْ، وَإِنْ كَانَ اِمْتِحَانُهُمْ هُوَ الْمُقَاوَمَةُ، فَاِمْتِحَانُنَا أَنْ نَكُونَ وَاعِينَ وَمُبَالِغِينَ بِمُعَانَاتِهِمْ، وَإِنْ كَانَ اِمْتِحَانُهُمْ هُوَ مُوَاجَهَةُ الْعَوْنِ وَالْحِرْمَانِ، فَاِمْتِحَانُنَا هُوَ أَنْ نُشَارِكَهُمْ مَا لَدَيْنَا مِنْ إِمْكَانَاتٍ. عَلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، فَعَلَيْنَا أَلَّا تَسْتَهِينَ بِقُوَّتِنَا الْاِسْتِهْلَاقِيَّةِ، وَأَنْ نَعُدَّ الْمُقَاطَعَةَ مَوْقِفًا وَاعِيًّا وَأَخْلَاقِيًّا صِدِّ الظُّلْمِ لَا رَدَّ فِعْلٍ عَابِرًا. وَإِنَّ تَحْذِيرَ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاصِحٌ جَلِيٌّ: "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا".²

إِخْوَانِي!

مَتَى اسْتَجَابَ الْمُسْلِمُونَ لِقَوْلِ رَبِّنَا تَعَالَى: "وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ"³، وَهَبُوا لِنَصْرَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، حِينَهَا سَيَنْهَرُمُ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ يَنْتَهَكُونَ حُرْمَةَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَالْحَرَمِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ، وَسَيَنَالُ جَمِيعُ الْمَظْلُومِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْفَرَجَ وَالنَّجَاةَ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ إِخْوَانُنَا فِي عَزَّةَ وَتُرْكِيْسْتَانَ الشَّرْقِيَّةِ.

وَنَخْتَتِمُ خُطْبَتَنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: "... وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدَّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ...".⁴

¹ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، 249/2.

² سُورَةُ النِّسَاءِ، 75/4.

³ سُورَةُ الشُّورَى، 39/42.

⁴ سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، كِتَابُ الْجِهَادِ، 147؛ سُنَنُ النَّسَائِيِّ، كِتَابُ الْقِسَامَةِ، 9-10.

